

الوافي في الوفيات

لها ناظرٌ يا حيرةَ الطبي إِذ يَرى ... به كَحَلَا ناداه يا خَجَلَة الكُحل .
وأَثقلَها الحسنُ الذي قد تكاثرت ... ملاحظُهُ حتَّى تَثْنَنَّت مِن الثَّقل .
وَإِنِّي لأَبْكِي وهي تبكي تَطَرُّباً ... جعلتُك من هذا التَّطَرُّبِ في حِلٍّ .
إذا استحسَنُوا في وردةٍ دَمعةَ الحيا ... فَمَا نَظَرُوا في خَدِّها دَمعةَ الدَّلِّ .
وَإِنَّ فَمِي مُغَرِّ بِفِيهَا لَأَنَّهُ ... رَحِيمٌ بِهِ أَنَّ الفطامَ أخو الثُّكل .
ووصلُ تولَّى أَدَمَجَ الدَّهْرُ ذِكْرَهُ ... كما أُدمِجَت في منطقٍ أَلِفُ الوصل .
تَقصُّني فجسمي في أواخرَ مِن ضَنْئٍ ... عليه وعقلي في عَقَائِلَ مِن خَبَلٍ .
سَأَمْنَعُ عَيْنِي كُلَّ مَا يَمْنَعُ البكا ... عليه وأُسلي القلبَ عَن كُلِّ مَا يُسْلِي .
وأُغَلِّقُ بابَ العِشقِ عِندِي فَإِنِّي ... جهلتُ إِلَى أن صارَ باباً بِلَا قُفْلٍ .
فبدرُ الدُّجَى أَشهى إِلَيَّ مِنَ الخَنَازِرِ ... وَأَقْبَحُ في عَيْنِ الكَرِيمِ مِنَ البُخْلِ .
ومن عَرَفَ أَلْيَسَ مَثلي فَإِنَّهُ ... يَعِيشُ بِلَا حَبٍّ وَيَحْيَا بِلَا خِلٍّ .
وقال أيضاً :

لِيلَ الحمى باتَ بِدَرِي فَيْكَ مُعْتَذِرِي ... وباتَ بِدَرُكٍ مَرَمِيَا عَلَى الطَّرْقِ .
شَتَّانَ مَا بَيْنَ بِدَرٍ صَرِيغٍ مِنْ ذَهَبٍ ... وَذَاكَ بِدَرِي وَبَدَرٍ صَرِيغٍ مِنْ بَهَقٍ .
زارَ الحبيبُ وَبَدَرُ التَّمِّمِ فِي كَمَدٍ ... بَادٍ عَلَيْهِ وَغَصْنُ البَانِ فِي قَلَاقٍ .
يَمْشِي عَلَى خَدِّ مَن يَهْوَى وَأَدَمُعُهُ ... تَهْمِي فُسْحَانٍ مَنجِيهِ مِنَ الْغَرَقِ .
وقبلَ ذَا كَانَ طَيْفًا مِنْ تَكْدِيرِهِ ... فَإِنْ سَرَى كَانَ مَسْرَاهُ عَلَى الْحَدَقِ .
وباتَ بِاللَّثَمِ تَحْتَ الخَتَمِ مَبْسُومُهُ ... وَالصَّدْرُ بِالضَّمِّ تَحْتَ القُفْلِ وَالْغَلَاقِ .
وعَفْتُ طَيْفِي لَمَّا جَاءَ سَيِّدُهُ ... يَا عَيْنُ عَفِيَّ طَرِيقَ الطَّيْفِ بِالْأَرَقِ .
يَا عَاذِلِي فِيهِ أَمَّا خَدُّهُ فَذَدِّ ... كَمَا تَرَاهُ وَأَمَّا ثَغْرُهُ فَذَنَقِي .
وما جَفَوْنِكَ تَلْوِيهَا عَلَى سَهَرِي ... وَلَا ضُلُوعُكَ تَطْوِيهَا عَلَى حُرْقِي .
تَرِيدُنِي خَارِجِيًّا عَنْ مَحَبَّتِهِ ... أَرَّيْ وَبِيعَةُ ذَاكَ الْحُسْنِ فِي عُنُقِي .
يَا صَاحِبَ الْحَسَنِ لَا تَعَجَلْ بِفُرْقَتِنَا ... فَمَا رَمَقْتُكَ إِلَّا آخِرَ الرَّمَقِ .
وَسَاتِرًا لِي عَيْنِيهِ بَارِحَتِهِ ... لَيْتَ الضَّنَى لِي مَسْرُوقًا مِنَ السَّرَقِ .
وَنَكْهَةً لَكَ تُحْيِي نَفْسَ نَاشِقِهَا ... بِمَسْتَرَقٍّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ مُسْتَرَقِ .
جَاءَ الْغَرَامُ وَهَذَا الْحَسَنُ فِي قَرْنٍ ... وَالْغَيْثُ يَهْمِي وَنُورُ الدِّينِ فِي طَلَاقِ .
وقال :

باتت مُعانِقَتِي ولكن في الكرى ... أَتُرى دَرَى ذاكَ الرَّقِيبُ بما جَرى .
ونعم دَرَى لَمَّا رَأَى في بُردَتِي ... رَدَعاً وشمَّ مِن الثَّيَابِ العَنَبَرَا .
طيفُ تخطَّى الهولَ حتَّى يَشْتَرِي ... بيتَ الحَشَا وقد اشْتَرَى وقد اجْتَرَا .
ما زارَ إلَّا في نَهَارِ جَبِينِهِ ... فأقولُ سَارَ ولا أقولُ له سَرَى .
بأبي وأُمِّي من حَلَامَتُ بذكرها ... لما انتبَهْتُ ومُذِرَقَدْتُ تَفَسَّسَرا .
عُلِّقْتُهَا بيضاءَ سَمَاءِ اللَّحْمَى ... أَسَمِعْتَ في الدُّنْيَا بِأَبِيضِ أَسْمَرَا .
ومِنَ العَجَائِبِ أَنَّ ماءَ رُضَائِهَا ... حُلُوٌّ ويُخْرَجُ حينَ تَبَسِّمُ جَوْهَرَا .
إِنِّي لَأَعشَقُهَا وما أَبْصَرْتُهَا ... فَالشَّمسُ يَمْنَعُ نورَها أَن تَبْصِرَا .
أَيَرُوعَنِي في كُلِّ وقتٍ نَهْدُها ... فغدا اعتنقنا خِيفَتُ أَن يَتَكْسِرَا .
أشكو إِلَيْهَا رِقَّتِي لِتَرْقَّ لِي ... فتقولُ تَطْمَعُ بي وَأَنْتِ كَمَا تَرَى .
وَإِذَا بَكَيْتُ دَمًا تقولُ شَمْتُ بِي ... يَوْمَ الذَّوَى فَصَبْغَتِ دَمْعَكَ أَحْمَرَا .
مَنْ شَاءَ يَمْنَحُهَا الْغَرَامَ فِدْوَنَهُ ... هَذِي خَلَائِقُهَا بِتَخْيِيرِ الشَّارَا .